﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنعام: 65]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

العلاقةُ بين مقابلةِ الفرَجِ بالشِّركِ، وتهديدِ كلِّ جاحدٍ بالعذابِ

لَمّا أخبرَنا بيانُ اللّهِ عن تضرُّعِ المشركينَ إلى اللّهِ تعالى؛ ليكشفَ عنهمُ الشَّدائدَ والكُرَبَ الَّتي تصيبُهم، ثمَّ يَرجِعونَ إلى شِركهم بعد تَنجيةِ اللّهِ لهم، جاءتْ هذه الآيةُ الكريمةُ بمنطوقِ التَّهديدِ والوعيدِ بأنواعٍ منَ العذاب لأولئكَ الكاذبينَ الجاحِدينَ لنِعَمِ اللّهِ وفضلِه عليهم؛ واللّهُ لا يُعجزُه أيُّ لونٍ من ألوان العذابِ، مهما تلوّنَ أو تنوّعَ؛ لأنّه المتصرِّفُ في مُلكِه وخَلْقِه، بالرّحمةِ إن شاء، وبالعذابِ إن أراد.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَلْبِسَكُمْ﴾: لَبِسَ: اللّامُ والباءُ والسّينُ أصلٌ صحيحٌ واحدٌ، يدلُّ على مُخالَطةٍ ومُداخَلَةٍ، من ذلك لَبِستُ الثَّوبَ أَلبَسُه، وهو الأصلُ، ومنه تتفرَّعُ الفُروعُ. واللَّبْسُ: اختلاطُ الأمر، يُقالُ: لَبَستُ عليه الأمرَ ألبِسُه بكسرِها[1]، كما في الآيةِ الَّتي معنا: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾؛ أي: يَخلِطَكم فِرَقًا مُتحزِّبين، ويَبُثَّ فيكمُ الأهواءَ المختلفةَ، فتتقاتلونَ فيما بينَكم[2]، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأنعام: 9]. واللّبسُ أيضًا: اختلاط الظّلام، وقولهم: (في الأمرِ لُبْسَةٌ) بالضّمّ؛ أي: شُبْهةٌ؛ ليس بواضحٍ[3]، وقال ابنُ عرفةَ في

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لبس).
(2) الكشّاف، الزّمخشريّ: 2/26، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/130.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لبس).

تفسير قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾؛ أي: لا تخلِطوه به، ولَبسُ النّاس شيعًا؛ أي: بخلْطِ أمرهم خلطَ اضطرابٍ، لا خلْطَ اتّفاقٍ[1].

2) ﴿شِيَعًا﴾: شيعةُ الرَّجُلِ: أتباعُه وأنصارُه، والفِرقةُ على حِدَة، ويقعُ على الواحدِ والاثنينِ والجمع، والمذكَّرِ والمؤنَّث. والجمعُ: أَشياعٌ وشِيَعٌ، ويُقالُ: شاعَكُمُ السَّلامُ: تَبِعَكُم، أو لا فارقكُم، أو ملأكُم، وشاعَكُمَ اللّهُ بالسَّلام، وأَشاعَكُم به: أَتبعَكُم؛ أي: جعلَهُ صاحبًا لكم وتابعًا[2]، و"معنى الشّيعةِ: الّذي يتبعُ بعضُهم بعضًا، ومعنى الشّيَع: الفرقُ الّتي كلُّ فرقة منهم يتبعُ بعضُهم بعضًا، وليس كلُّهم متّفقين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الأنعام: 159]، قال معنى قولِه: ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾؛ أي: كانوا فرقًا في دينهم، كلُّ فرقة تكفّرُ الفرقَ المخالفةَ لها، يعني: اليهودَ والنّصارَى بعضُها يكفّرُ بعضًا"[3].

3) ﴿نُصَرِّفُ﴾: الصَّرْفُ: ردُّ الشَّيء من حالةٍ إلى حالةٍ، أو إبدالُه بغيره، قال تعالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ﴾ [آل عمران: 152]. والتَّصريفُ، كالصَّرفِ إلَّا في التَّكثير، وأكثرُ ما يُقالُ في صرْفِ الشَّيءِ من حالةٍ إلى حالةٍ، ومن أمرٍ إلى أمرٍ[4]. ومنه الآية الَّتي معنا في قولِه تعالى: ﴿نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾؛ أي: نبيِّنُ لهم الحُجَجَ والدَّلالاتِ من وُجوهٍ مختلفةٍ[5].

4) ﴿يَفۡقَهُونَ﴾: الفِقهُ: هو التَّوصُّلُ إلى علمٍ غائبٍ بعلمٍ شاهدٍ، فهو أخصُّ منَ العلم، قال تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثًا ٧٨﴾ [النِّساء: 78].

والفِقهُ: العلمُ بأحكامِ الشَّريعة. يُقالُ: فَقُهَ الرَّجُلُ فَقاهةً: إذا صارَ فقيهًا، وفَقِهَ؛ أي: فَهِمَ. وفَقِهَهُ؛ أي: فَهِمَه. وتَفَقَّهَ: إذا طلبَهُ فتَخصَّصَ به، قال تعالى: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التَّوبة: 122][6].

"والفقه هو: الفهْمُ. قال: أوتي فلانٌ فقهًا في الدّين؛ أي: فهمًا فيه، ودعا النّبيُّ ﷺ لابن عبّاسٍ وقال: «اللهم عَلِّمهُ الدّينَ، وفقّهْه في التّأويل»؛ أي: فهِّمْه تأويلَه، فاستجاب

(1) الزَّبيديّ، تاج العروس: (لبس).
(2) الفيروزآباديّ، القاموس المحيط: (شاعَ).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (شَيعَ).
(4) الرّاغب، المفردات: (صرف).
(5) الشَّوكانّي، فتح القدير: 2/178.
(6) الرّاغب، المفردات: (فقه).

اللّه جلّ وعزّ دعاءَ نبيّه فيه، وكان من أعلمِ النّاس بكتاب اللّه في زمانِه، ولم يُلحَقْ شأْوُه من بعْدِه"[1].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

التَّحذيرُ ممّا يُسلّطُه الله على الأمّةِ، مِن تقاتُلٍ وفُرقةٍ وتمزُّقٍ

يُخبرُ اللّهُ عبادَهُ وخاصَّةً المشركينَ مُحذِّرًا إيّاهم منَ الكُفرِ به والإقامةِ على معاصيه، وإلّا فإنَّه يُصيبُهُم بعذابٍ من كُلِّ جهةٍ، ويَجعلُهم أحزابًا مختلفين، يقتُل بعضُهم بعضًا، وقال ابنُ عبّاس: "إنّ المرادَ بقولِه تعالى: ﴿مِن فَوْقِكُمْ﴾؛ أي: من حُكّامِكم وأمرائِكم، وإنّ المرادَ بقوله: ﴿مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾؛ أي: من عبيدِكم وسفلَتِكم"[2]، وعلى الأوّل والثّاني، فإنّ عذابَ اللّه شديدٌ، واللّهُ ﷻ يُبيِّن الحُجَجَ لعبادِه، ويُقلِّبُ لهم البيِّناتِ من وُجوهٍ مختلفةٍ؛ ليفهَموا مُراداتِ اللّهِ، فيتَّعِظوا ويَعتبِروا[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ الاستئنافِ وبيانِه في قولِه تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾:

القادرُ مِن شأنِه أن يُخافَ بأسُه، ويُرهَبَ جانبُه

جُملةُ ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾ استئنافٌ مَسوقٌ لبيانِ قدرةِ اللّهِ على إلقاءِ المشركينَ في المهالك، إثرَ بيانِ أنَّه هو المنجّي لهم منها، وفيه وعيدٌ ضِمنيٌّ بالعذابِ؛ لإشراكِهم المذكورِ على طريقة قولِه تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ إلى قولِه: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: 68 - 69][4]، فالخبرُ مُستعمَلٌ على سبيلِ التَّعريضِ بأمرٍ أهمَّ من بيانِ قُدرةِ اللّهِ – فإنَّها معلومة – ؛ وهو التَّهديدُ بتذكيرِهم بأنَّ القادرَ من شأنِه أن يُخافَ بأسُه[5].

---

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (فقه)، والحديث نصُّه: «اللهُمَّ فَقِّهْهُ في الدّينِ، وعَلِّمْهُ التَّأْويلَ»، وهو عند أحمد، المسند، ط: الرسالة، الحديث رقم: (2397): 4/225، وعند غيره.

(2) أسعد حومد، أيسر التّفاسير: 5/263.

(3) الشَّوكانّي، فتح القدير: 2/178، والسَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 214.

(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 2/225.

(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 7/283.

دلالةُ أمْرِ النّبيِّ بالقولِ بصِيغةِ ﴿قُلْ﴾، في قولِه تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾:

رسـالـةُ الـلـه لرسولِه الأكـرمِ بـلاغٌ، وقُـدوةٌ، وأمانةٌ

إنّ تصديرَ الكلام بقولِه: ﴿قُلْ﴾ فيه فضلُ تنبيهٍ، وفيه بيانٌ لمقامِ النّبيِّ ﷺ، أنّه هو الصّلةُ بينهم وبين ربِّهم، وأنّه المبعوثُ إليهم من قِبَلِه، وأنّه هو الّذي يُخاطبُهم عنه سُبحانَه في كشْفِ الضّرِّ عنهم، ورفْعِ الغُمّةِ إن نزلتْ بهم، وهو مُنذرُهم بالعذابِ الشّديدِ[1]، ولعلّ التّأثّرَ البالغَ للنّبيِّ بالقرآن - عملًا وتلاوةً، وتأثّرًا وخُلُقًا، حتّى كان خُلُقُه القرآنَ - راجعٌ إلى معرفتِه بثِقَلِ هذا الخطابِ الموجَّهِ إليه، بصيغةِ ﴿قُلْ﴾؛ لأداءِ أمانةِ البلاغِ من جهةٍ، وإبرازِ مظاهرِ العبوديّةِ، بالتّسليمِ لأوامرِ الله، والمسارَعةِ إلى تطبيقِها في ذاتِه، وخاصّةِ أهلِه، قبْلَ أن يتابعَ تطبيقَها في واقعِ الأمّةِ، وعقيدتِها، ومعاملاتِها.

التّعبيرُ بأسلُوبِ القصْرِ، على كمالِ قُدرةِ الله:

الـقـاهـرُ مـخـصـوصٌ بـالـكـمـالِ، لا يُعجِزُهُ أحدٌ من مخلوقاتِه

﴿ٱلْقَادِرُ﴾ تعني تمامَ التّمكُّن، وأنّه لا قُدرةَ ولا حيلةَ لأحد، حيالَ قُدرةِ الله؛ لأنّ الحقَّ ﷻ يُملي للقوم الظّالمين، ويمدُّ لهم الأمرَ، ثمّ يأخذُهم بغتةً بالعذاب[2]، والقاهرُ لا يُعجزُه شيءٌ، فهو تعالى يملكُ أسبابَ القوّةِ الّتي لا تواجَهُ ولا تُغالَبُ، وقد جاءَ تعريفُ المُسنَدِ والمُسنَدِ إليه في قولِه تعالى: ﴿هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾؛ ليُفيدَ القصرَ في اختصاصِه ﷻ بالقُدرةِ على بعثِ العذابِ على المشركينَ دونَ غيرِه، فأينَ أصنامُهمُ الّتي لا تستطيعُ فعلَ أيِّ شيء ؟! فالّذي يَستحِقُّ الخوفَ من عذابِه، وإفرادَه بالعبادةِ هو اللّهُ لا أحدَ سواه؛ ولذلكَ كان هذا القصرُ إضافيًّا للذّاتِ الإلهيَّة فَحَسب، فالضّمير ﴿هُوَ﴾ مَعرفةٌ، والألفُ واللّامُ في ﴿ٱلْقَادِرُ﴾ لتعريفِ الجنس، فلا يَقدِرُ على القيامِ بهذا العذابِ - من فوقِهم مثل: الصّواعقِ والرّيح، ومن تحتِ أرجلِهم، مثل: الزّلازل والخَسْف والغَرَق - إلّا اللّهُ[3] ﷻ.

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2534.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 7/283.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/284.

تقديمُ شِبْهِ الجُملةِ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ على مفعولِ الفعْلِ الصَّريحِ ﴿عَذَابًا﴾:

تمّ تقديمُ شِبهِ الجُملةِ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ على المفعولِ الصَّريحِ ﴿عَذَابًا﴾، في قولِه تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾؛ وذلك للاعتناءِ به، والمسارَعةِ في كونِ المبعوثِ ممّا يَضرُّهم، ولتهويلِ أمرِ المؤخَّر وهو ﴿عَذَابًا﴾[1]، فـ ﴿عَذَابًا﴾: إمّا أن يكون مُتعلِّقًا بـ ﴿يَبْعَثَ﴾ أو أن يكونَ مُتعلِّقًا بمحذوفٍ على أنَّه صفةٌ لـ ﴿عَذَابًا﴾؛ أي: عذابًا كائنًا من هاتينِ الجهتَين[2].

عــذابُ اللــه لا يُطاقُ، وسيُصَبُّ على أهلِ الشِّركِ والنِّفاقِ

دلالةُ تصويرِ العذابِ بأنّه آتٍ من أعلَى أو من أسفَلَ:

قولُه تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ فيه تصويرُ العذاب، بأنّه آتٍ من أعلَى، أو من أسفَلَ، وذلك أشدُّ وقعًا في النّفسِ من تصويرِه بأنّه آتٍ من جهة اليمينِ أو من جهة الشّمالِ؛ لأنّ الآتي من هاتين الجهتين، قد يُتوهّمُ دفعُه، أمّا الآتي من أعلى أو من أسفلَ، فهو عذابٌ قاهرٌ مُزلزِلٌ، لا مُقاومةَ له، ولا ثباتَ معه[3]، ويدلُّ على أنّ الفوقيّةَ والسُّفليّةَ من اختصاصِ اللّه، ولا سلطانَ عليها لأحدٍ سواه، كما في قولِه تعالى على لسانِ إبليسَ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: 16 - 17]، فذَكَرَ الأمامَ والخلْفَ، واليمين والشِّمال، ولم يذكرِ الفوقَ والأسفلَ؛ لأنّه لا قُدرة لأحدٍ عليهما إلّا للّه، قال الشّعراويّ: "ولماذا لم يأتِ الشّيطان للإنسان من فوقٍ ومن تحتٍ؛ لأنّ الفوقيّةَ هي الجهةُ الّتي يلجأُ إليها مستغيثًا ومُستجيرًا بربّه، والتّحتيّةَ هي جهة العبوديّةِ الخاصّةِ، فالعبدُ أقربُ ما يكون من ربّه وهو ساجدٌ؛ فهو في هاتين الحالَتَيْن محفوظٌ من

دِقّةُ الاستعمالِ القرآنيِّ للجهاتِ، دليلٌ على الإعجازِ في هذه الآياتِ

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/225.
(2) السَّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 4/670.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 5/96.

تسلُّطِ الشّيطان عليه؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: 42][1].

دلالةُ العطْفِ بالحرفِ ﴿أَوْ﴾، وأثرُها في المعنى:

مَن طالَهُ عذابُ اللـه الجبّـارِ لم يُفلِتْه، ولو حاولَ الفرارَ

قولُه تعالى: ﴿مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، أفادَ حرف (أو) عدمَ المنعِ من تحقُّقِ العذابِ من فوقِهم ومن تحتِهم، وسيقتْ ﴿أَوْ﴾ لمنعِ الخُلوِّ دونَ الجمْعِ، فلا مَنْعَ لما كان منَ الجهتَين معًا، كما فُعِلَ بقومِ نوحٍ ﷺ، قالَ تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ [هود: 44][2].

دلالةُ الكِنايةِ في قولِه تعالى: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾:

مَـن طـالَـهُ العذابُ النّابتُ فلا مفرَّ له منَ الهلاكِ الثّابتِ

في ألوانِ إرسالِ العذابِ هنا تهديدٌ بما سوف يُصيبُهم من أليمِ العذابِ، ومنه ما عبّرَ عنه بأنّه من تحتِ أرجُلِهم، مقابلَ ما ذكرَه بقولِه: ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾، وهو كنايةٌ عنِ الأرضِ، بحيث ينزلُ بالمعذّبين عذابٌ آخرُ، يأخذُهم من تحتِهم، كالكوارثِ والنّكباتِ، وذلك تقديرُ اللّه الّذي لا مردَّ له؛ ومَن أنزلَ اللّه به عذابَه فلا واقيَ له مِن بطْشِه، ولا حاميَ له من غضَبِه.

بلاغةُ التّعبيرِ بلفْظِ: ﴿يَلْبِسَكُمْ﴾:

ما فرّقتْهُ يدُ اللهِ لا يجمعُه جـامِـعٌ، ولا يمنَعُه مانعٌ

قولُه تعالى: ﴿يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾، بمعنى: "يَخلطُكم فرقًا مختلفةَ الأهواءِ، متباينةَ المشاربِ، مضطربةَ الشّؤون، كلُّ فرقةٍ تتبعُ إمامًا لها تقاتلُ معه غيرَها، فيزولُ الأمنُ، ويعمُّ الفسادُ"[3]. وقد أفادَ معنَى خَلطِ الأمورِ واضطرابِها عندَ أولئك الأشخاصِ الّذين تعدّاهم الفعلُ ﴿يَلْبِسَكُمْ﴾، فكما أنّ الاستقامةَ سُمّيتْ نِظامًا، فكذلكَ سُمّيتِ الفَوضَى واضطرابُ الأمورِ لَبسًا؛ وذلكَ بزوالِ الأمنِ

(1) محمّد متولّي الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ (الخواطر): 7/4074.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/225.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 5/96.

ودخولِ الفسادِ في أمورِ الأُمَّةِ. ولذلكَ جاءَ قولُه: ﴿شِيَعًا﴾ تعبيرًا عن حالِ أولئكَ الَّذين تقدَّمَ ذكرُهم ممَّا حَلَّ بهم، وفي صُفوفِهم منَ الاختلافِ والتَّقاتُل. ويُمكنُ أن يكونَ ﴿شِيَعًا﴾ مصدرَ ﴿يَلْبِسَكُمْ﴾ من غيرِ لفظِه، ويجوزُ على هذا أن يكونَ حالًا أيضًا؛ أي: مُختلفين[1].

بلاغةُ الاستعارةِ المكنيّةِ في قولِه تعالى: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾:

قولُه تعالى: ﴿وَيُذِيقَ﴾ على نسقِ ﴿يَبْعَثَ﴾، والإذاقةُ: استعارةٌ للألم، كما في قولِه تعالى: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾[2] [القمر: 48]؛ أي: جهنَّم، والإذاقةُ الأُولى في الدُّنيا بدليلِ قولِه بعدَها: ﴿بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾، والبعضُ الأوَّلُ الكفّارُ، والآخَرُ المؤمنون؛ ففيه وعدٌ للمؤمنين، ووعيدٌ للكافرين. وعُطِفَ ﴿وَيُذِيقَ﴾ على ﴿يَلْبِسَكُمْ﴾؛ لأنَّ من عواقبِ ذلكَ اللَّبْسِ التَّقاتُلَ[3]، وقد جعلَ التّناوُشَ كالمأكولِ، وحذفَ المشبَّه به، وجاء بشيءٍ من لوازمه وهو (يُذيق)، على سبيل الاستعارةِ المكنيّةِ، وذلك بغرَضِ التّهويلِ، وتعظيمِ أمرِ النّزاعِ والخصامِ بين النّاس، وقال البعضُ: يُذيقُ بعضَكم بأسَ بعض: يُسلّطُ بعضَكم على بعضٍ بالقتلِ والعذابِ[4]، يَلبِسَكُم: منَ اللَّبْس، والمرادُ: يخلطُ أمرَكم عليكم خلْطَ اضطرابٍ واختلافٍ؛ وأصلُ التّركيبِ: (يُلْبِسُ عَلَيكُمْ أَمرَكُمْ)[5].

مَـن ذاقَ عـرفَ، ومَـنِ اسـتـقـامَ شرُف

تَنزيلُ المعقولِ مَنزلةَ المحسوسِ في النَّظرِ إلى تصريفِ الآياتِ:

وفي قولِه تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ استئنافٌ ورَدَ بعد الاستفهامَينِ السّابقَين، وفي الأمرِ بالنَّظرِ تنزيلٌ للمعقولِ مَنزلةَ المحسوسِ لِقَصدِ التَّعجيبِ منه، وتصريفُ الآياتِ:

النّظرُ في الآياتِ يهدِي إلى الإقرارِ بالأُلوهيّةِ

(1) العكبريّ، الإملاء: 1/246.
(2) السَّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 4/672.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/226.
(4) حكمت بن ياسين، موسوعة الصّحيح المسبور منَ التّفسير بالمأثور: 2/247.
(5) الحجازيّ، التّفسير الواضح: 1/623.

تنويعُها بالتَّرغيبِ تارةً، والتَّرهيبِ أُخرَى. فالمرادُ بالآيات آياتُ القرآنِ الكريم[1] الَّتي أتَتْ بذَينِك الأمرَين، وذلك ليفقَهوا، ويَقِفوا على جَليَّةِ الأمر، فيرجِعوا عمَّا هم عليه منَ المُكابرةِ والعِناد.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(يَلبِسَكُم) و(يخْلِطَكم):

اللَّبسُ نوعٌ منَ الخلْطِ فيه خفاءٌ

اللَّبسُ: اخْتلاطُ الأمر، وأَصلُ اللَّبس سَترُ الشَّيءِ، ويُقالُ ذلكَ في المعاني، يُقال: لَبَسْتُ عليه أمرَه، قالَ تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ [الأنعام: 9]، ويُقالُ: في الأمر لُبْسَةٌ؛ أي: التِباس. ولابَستُ الأمرَ: إذا زاولْتُه، ولابَستُ فلانًا: خالطتُه[2].

وأمّا الخَلطُ فهو الجمعُ بين أجزاءِ الشَّيئَين فصاعِدًا، سواء كانا مائِعَين، أو جامدَين، أو كان أحدُهما مائعًا والآخَرُ جامدًا، وهو أعمُّ منَ المَزج. ويُقالُ: اختلطَ الشَّيءُ، قالَ تعالى: ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: 24]. ويُقالُ للصَّديقِ والمُجاوِرِ والشَّريك: خَليطٌ، قالَ تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [ص: 24]. ويُقالُ الخليطُ للواحدِ والجمع[3]، قالَ تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التَّوبة: 102]؛ أي: يَتعاطونَ هذا مرَّةً وذاكَ مرَّة.

وممّا تقدَّمَ من معاني الكلمتَين يتَّضحُ جَليًّا أنَّ سياقَ النَّصِّ القرآنيِّ يُناسبُه استخدامُ الفعلِ ﴿يَلْبِسَكُمْ﴾ في حديثِه عن وعيدِ اللّهِ، بجعلِ مَن يتخلَّفُ عن دينِه وشريعته، ويُعرِضُ عنهما أحزابًا وفِرَقًا مختلفينَ مُتقاتلين، حيث إنَّ (اللَّبْسَ) كما سبقَ يتعلَّقُ بالمعاني لا بالمباني، وبجواهرِ الأشياءِ لا بصورِها، والخلْطُ يتعلّق بالمباني، والصّورِ، فاصطفى النّظمُ اللّبسَ؛ لأنّه بالسّياق أبرُّ.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 7/286.
(2) الرّاغب، المفردات: (لبس).
(3) الرّاغب، المفردات: (خلط).

(شِيَعًا) و(فِرَقًا):

الشِّياعُ: الانتشارُ والتَّقويةُ. يُقالُ: شاعَ الخبرُ؛ أي: كثُرَ وقَوِيَ. وشاعَ القومُ: انتشَروا وكَثُروا. وشَيَّعتُ النّارَ بالحَطَب: قوَّيتُها. والشِّيعةُ: مَنْ يتقوَّى بهمُ الإنسانُ، وينتشرونَ عنه، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [القصص: 4]، والآيةُ الَّتي معنا: ﴿يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾[1] [الأنعام: 65]. وأمّا الفَرقُ فيُقالُ اعتبارًا بالانفصال، قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ [البقرة: 50]، والفِرْقُ: القِطعةُ المُنفَصِلةُ، ومنه: الفِرقةُ للجَماعةِ المُتفرِّدةِ منَ النّاس، والفِراقُ والمفارقةُ تكونُ بالأبدانِ أكثرَ، قالَ تعالى: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: 78][2].

الشِّيعُ فيه معنَى الكثرةِ والانتصارِ، والفِرَقُ فيه معنَى القِلّةِ والانكسارِ

ويتَّضِحُ ممّا تقدَّمَ بيانُه أنَّ كلمةَ ﴿شِيَعًا﴾ أنسَبُ للسّياق من كلمةِ (فِرَقًا) لأمورٍ ثلاثة: الأوَّلُ: أنَّ شيَعًا تكون بمَن يتقوَّى بهم الإنسانُ، وينتشرون عنه للدّعوةِ إلى عقيدتِه ومَذهبِه، كما في قولِه تعالى: ﴿*وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾ [الصّافّات: 83]؛ أي: من شيعةِ نوحٍ عليه السلام، كما هو في سياقِ الآياتِ، وقد يكونُ ذلكَ في معنَى (فِرَقًا)، وقد لا يكونُ.

الثّاني: الفِراقُ والمفارقةُ تكونُ في الأبدانِ أكثرَ، وأمّا الشّياعُ فالأغلبُ أنَّه في المنهجِ والدّينِ والفِكرِ، وقد تكونُ معه مفارقةٌ في الأبدانِ، وقد لا تكونُ.

الثّالث: يُلاحَظ في معنَى ﴿شِيَعًا﴾: الكَثرةُ والانتشارُ والتَّقويةُ، وأمّا معنَى (فِرَقًا) فيقومُ على تشتيتِ الشَّملِ والكلمةِ، ويترتّبُ عليه الضَّعفُ والهوانُ.

(نُصرِّفُ) و(نُقلِّبُ):

الصَّرفُ والتَّصريفُ: هو ردُّ الشَّيءِ من حالةٍ إلى حالةٍ أُخرَى

التّصريفُ أعَمُّ منَ التَّقليبِ

(1) الرّاغب، المفردات: (شيع).
(2) الرّاغب، المفردات: (فرق).

مختلفةٍ، وإبدالُه بغيرِه[1]، وأمّا قَلبُ الشَّيء فهو تصريفُه وصرفُه عن وجهٍ إلى وجه - كقَلبِ الثَّوب، وقَلبِ الإنسان - أي: صرفُه عن طريقتِه، قال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [العنكبوت: 21]، والانقلابُ: الانصرافُ، وسُمّي قلبُ الإنسانِ به؛ لكَثرةِ تَقَلُّبه، ويُعبَّرُ بالقلب عنِ المعاني الَّتي تختصُّ به منَ الرّوحِ والعلْمِ والشَّجاعةِ وغيرِ ذلك[2]، ولذلك كانَ لفظُ ﴿نُصَرِّفُ﴾ أَوْلى بالسّياقِ الَّذي يريدُ أنْ يوصِلَ العبدَ إلى فِقهِ الأمورِ، بعد تَبيينِ الحُججِ والبراهين، واستبدالِ الباطل بالحقِّ.

(يَفقَهونَ) و(يَعلَمونَ):

الفِقهُ: هو العلمُ بمقتضَى الكلام على تأمُّله، وهو أخصُّ منَ العلم، ولهذا لا يُقالُ: (اللّهُ يفقهُ)؛ لأنَّه لا يوصفُ بالتَّأمُّل، وتقولُ لمَن تخاطبُه: تفقَّهْ ما أقولُه؛ أي: تأمَّلْه لتعرفَه، ولا يُستعملُ إلّا على معنَى الكلام، ومنه قولُه تعالى: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾ [الكهف: 93]. وسُمّيَ علمُ الشَّرعِ فِقهًا؛ لأنَّه مَبنيٌّ عن معرفةِ كلامِ اللّهِ تعالى، وكلامِ رسولِه ﷺ[3].

الـفِـقـهُ أدقُّ وأعـمَـقُ مـنَ العلْمِ

وأمّا العلمُ فهو اعتقادُ الشَّيءِ على ما هو به على سبيلِ الثِّقةِ، كانَ ذلكَ بعد لَبْسٍ أم لا[4]، والعلمُ يقعُ بالمعدوم، ولا يُدْرِكُ إلّا الموجودَ، ويقعُ على أشياءَ مَخصوصةٍ وغيرِ مَخصوصة[5].

والبيانُ الإلهيُّ في سياق الآيةِ الكريمةِ، استخدمَ فعلَ الأمرِ ﴿ٱنظُرْ﴾، ثمّ ﴿نُصَرِّفُ﴾، ثمَّ ختمَها بقوله: ﴿يَفْقَهُونَ﴾ الَّذي يفيدُ التَّجدُّدَ والاستمرارَ. والنَّظرُ والتَّصريفُ منَ الأدواتِ والسُّبُلِ الموصلةِ

(1) الرّاغب، المفردات: (صرف).
(2) الرّاغب، المفردات:. (قلب).
(3) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 413.
(4) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 371.
(5) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 31.

إلى الفقه القائمِ على العلمِ بمُقتضَى الكلامِ عن التَّأمُّلِ، والتَّفكُّرِ، والتَّدَبُّر، وهو حثٌّ على إعمالِ ذلكَ كلِّه، ليحصُلَ الفقهُ المفيدُ للوصول إلى الحقِّ والتزامِه، وليس مجرَّدَ العلم، وهو المرادُ في سياقِ الآيةِ الكريمةِ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي عشر، سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 11 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-63-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 11 : سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-63-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9795022 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»